مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:650– 678 تاريخ النشر: 30–05–2019

مسار وآليات تعمير الريف الشرقي القسنطيني خلال القرن الثامن عشر

Course and mechanisms for rebuilding Constantinois During the 19th century

د. توفيق بن زردة
جامعة العربي بن مهيدي –أم البواقي
toufikbenz@yahoo.fr

تاريخ الإرسال :20–02–2019 تاريخ القبول : 20–04–2019

الملخـــص:

حاولنا في هذه الدراسة المؤصلة التي اعتمدنا فيها على مختلف الأرصدة الأرشيفية التي توزعت داخل الجزائر وخارجها تصحيح بعض الأطروحات التي تعتبر المجالات القبلية خلال المرحلة العثمانية، هي فضاءات فوضوية تجمع شتات جماعات مترحلة، كان ارتباطها موسميا بالنقاط التي اعتادت ارتيادها، حيث تتبعنا من خلال الأرصدة الأرشيفية داخل الوطن وخارجه، مراحل وآليات تعمير الفضاء الشرقي القسنطيني، حيث توصلنا في هذا البحث إلى أن مدينة قسنطينة التي جعل منها العثمانيون مركزا للسلطة منذ القرن السادس عشر، لم تتحول إلى عاصمة جهوية لغالبية ريفية، إلا بعد أن عمدت هذه السلطة إلى الانتقال بالمجالات المحيط بها على غرار ريفها الشرقي من فضاء جغرافي فوضوي متنازع حوله، إلى مجال منتظم خضع لحسابات دقيقة في توزيع القبائل عليه، حيث وضعت القبائل ذات التقاليد الزراعية على أبواب مدينة قسنطينة، فيما خلفها وزعت القبائل ذات الطبيعة العسكرية، كي تشكل حزاما أمنيا للمدينة وقواعدها الاقتصادية الزراعية.

الكلمات المفتاحية: القبيلة، المجال، التعمير، البايلك، النفوذ

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:650– 678 تاريخ النشر: 30–05–2019

ABSTRACT:

In this study, we tried to correct some of the theses considered as tribal areas of the Ottoman period: chaotic spaces combining groups of migratory groups, their seasonal association with the points they visited before. We follow the balances of archives inside and outside the country, the stages and the mechanisms of reconstruction of the East-Eastern space. In this research that the city of Constantine, which made the Ottomans a center of power since the sixteenth century, did not turn into a regional capital for the majority of rural people, only after this authority moved the areas that 'surround, similar to the eastern countryside of the disputed geopolitical space. For a regular area that has been carefully calculated in the distribution of tribes, after the tribes of agricultural traditions at the gates of the city of Constantine, and abandoned tribes spread of military nature, to form a seatbelt for the city and its bases agricultural economics

Keywords: tribe, domain, reconstruction, bayalk, influence

المقدمـــة:

تُحيلنا خريطة توزيع المجموعات القبلية في الريف القسنطيني، وحجم تقاسمها للحيز الترابي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر[1] إلى وجود نظام بايلكي متكامل الأركان، كان قد لعب دورا محوريا في تركيب المجالات القبلية، وفق أطر مادية واجتماعية متينة أفرزت فوائض انتاج، وترجمت إلى حد بعيد العلاقة الوطيدة التي جمعت

[1] – Ernest Carette et Auguste Warnier, Carte de l'Algérie divisée par tribus1846, échelle:
11000000/,Bibliothéque national de France,(gallica.bnf.fr).

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:650– 678 تاريخ النشر: 30–05–2019

بين الانسان وأرضه، لكن في المقابل يجب أن نشير إلى أن هذه الخريطة القبلية لا تمثل سوى حالة توزيع ظرفي لأغلب هذه القبائل مع نهاية القرن الثامن عشر، ولا يذهب الظن بنا إلى أن هذا التوزيع يمثل ذلك السكون البشري الجامد في كل المراحل، بل هو فقط محطة للمجموعات القبلية من حيث الاسم والمجال الجغرافي، وطبيعة النشاط الاقتصادي والبنية الاجتماعية.

إن هذه المعطيات تؤكد أن التنظيم القبلي والجماعوي لدى التركيبات الريفية، هو شكل من أشكال التكيف أيضا مع البيئية السياسية القائمة في كل مرحلة، والتي قد تدفع في الكثير من الأحيان إلى اضعاف الروابط اللحمية والدموية التي تهيمن بصورة جلية على المجتمع القبلي الذي يدعي دائما أنه ينحدر من جد واحد، كتبرير حقيقي أو مزعوم للعلاقات النفعية الانتاجية، وكأحد الآليات لمواجهة الواقع المادي في الوسط الريفي الذي يفرض التعاون والتآزر.

إننا نسعى في هذه الورقة البحثية أن نتتبع أطوار تعمير فضاء بعينه، وأصول قبائله ومجموعاته، فرضه علينا ثراء المادة العلمية التي عثرنا عليها في دور الأرشيف الوطنية والأجنبية، منتقلين بالريف القسنطيني من الكل إلى الجزء عبر عينة قسمه الشرقي الممتد من مدينة قسنطينة إلى حدود كنفدرالية الحنانشة القبلية التي عاشت على الحدود الطرفية بين الجزائر وتونس، واستطاعت خلال القرنيين السادس عشر والسابع عشر بعد تحالفها مع الطريقة الشابية[1] أن تهيمن على الأراضي والمراعي الواقعة في القسم الشرقي من الريف القسنطيني، لتتقاسم بذلك الثورة والنفوذ مع بايات قسنطينة، الذين استغلوا تراجع نفوذ هذه الكنفدرالية والقبائل المنضوية تحت سلطتها إلى أقصى الحدود الشرقية

[1]– حول تاريخ هذه الطريقة ومشروعها السياسي وسط القبائل البدوية يرجى الرجوع إلى : علي الشابي، تاريخ الشابية خلال العهدين الحفصي والعثماني، دار نقوش عربية، تونس، 2015.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:650– 678 تاريخ النشر: 30–05–2019

مع بداية القرن الثامن عشر، ليعيدوا ترتيب هذا الفضاء ويعملوا على تعميره على مراحل خاصة في عهد صالح باي (1771– 1792)[1]. وهو ما سنسعى إلى معالجته في هذه الورقة البحثية من خلال رصد مسار وآليات هذا التعمير، وهل كانت تحكمه الضوابط المجالية، والخلفية الاقتصادية والأمنية ؟ أم أن الصراعات القبلية هي من صاغت خريطته البشرية ؟

2.السقنية: جماعات رعوية:

بعد أن فقد السقنية سلطة الشابية عليهم، شكل منهم بايات قسنطينة أحد أهم الوحدات الاجتماعية الفلاحية التي عمرت المجال الواقع جنوب شرق قسنطينة على بعد حوالي 40 كلم، بمساحة امتدت على أكثر111257 هكتار، منحصرا هذا المجال في الشمال بقاعدة العزل المحية بقسنطينة، والسهول التي عمرتها قبيلة عامر الشراقة، ومن الشرق قبيلة بحيرة طويلة، وقبيلة الحراكتة من أولاد عيسى، ومن الجنوب الحراكتة ماضر، وقبيلة الأعشاش، ومن الغرب قبيلة الزمول المخزنية التي عمرت سهول عين امليلة[2]. كانت النواة الأولى لقبيلة السقنية هي عناصر أولاد سقان، الذين عاشوا بالقرب من المدينة التاريخية سيقوس[3]، حيث دفع البايات بالكثير من الجماعات خاصة من الأوراس[4]،

[1]– فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، منشورات ميديا بلوس، قسنطينة، 2005.

[2]–Procès-verbal,Origine et historique de la Tribu des Segnias, procès - verbaux du Sénatus Consulte, n°259:Tribu des Segnias. Direction Régional du Cadastre – Constantine.

[3]– تقع اليوم على طريق قسنطينة أم البواقي.

[4]– القبائل والجماعات التي شكلت اتحاد السقنية هي:

– أولاد سقان: يعتبرون أنفسهم أقدم جماعات السقنية، عاشوا بسهول سيقوس، وينقسمون إلى أولاد سعيد، حدادة، أولاد جاتير، أولاد سيدي محمد بن علي.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:650– 678 تاريخ النشر: 30–05–2019

– أولاد خالد: عاشوا بالقرب من أولاد سقان.

– أولاد صخر: امتزجت فيهم الاثنية العربية بالأمازيغية حيث استوطنوا عزل يحمل اسم أولاد صخر، يقع في الجهات المرتفعة شمال مجال السقنية على حدود قبيلة عامر الشراق، يفصلهما وادي تيجرارين.

– أولاد جحيش: استوطنوا جبل فرطاس والخواصر، فيما كانت أراضيهم الزراعية قليلة، وهم ينقسمون إلى أولاد الحاج، أولاد تومي، أولاد عمار.

– أولاد ونداج: استوطنت الخواصر الغربية لجبل فرطاس، وكانت فلاحتهم في سهول الفسقية، ينقسمون إلى أولاد العلمي، أولاد عيسى، أولاد ناصر، أولاد سلام، أولاد عاشور.

– أولاد قاسم: هم من سهول سطيف استوطنوا الخواصر الشرقية لجبل فرطاس، وعنق فج بوسعدية، الذي يفصل جبل فرطاس عن جبل قريون ينقسمون إلى أولاد بخة، أولاد عاشور، زحافة، باهطية.

– أولاد عائشة: هم مزيج من سكان الصحراء والأوراس، عاشوا عبر الفضاء الواقع بين جبل قريون وجبل فرطاس عبر بحيرة البغلة، ينقسمون إلى أولاد سلطان، أولاد بوعلي، أولاد ريحان.

– أولاد مساعد: أصولهم تعود إلى بني املول بالأوراس، عاشوا وسط سهل عين كرشة، ينقسمون إلى أولاد محمد بن عثمان، براكنة، أولاد عباس، غمريان.

– أولاد ساسي: استوطنوا القسم الشمالي الغربي من سهول عين كرشة، ينقسمون إلى أولاد احمد، أولاد معزة، أولاد بن عبد الله.

– أولاد عاشور: احتلوا السهول الغربية لعين كرشة، فرقتهم الرئيسية تدعى الكواشية نسبة إلى المرأة المرابطية التي تدعى المرابطة بوسعدية الكواشية.

– أولاد سبع: استقروا بالسهول الجنوبية لعين كرشة، ينقسمون إلى أولاد عزيز، والدرابلة.

– أولاد محبوب: أصولهم من بني وجانة بالأوراس، استقروا عبر الفضاء الممتد من جبل بوراس السلسلة الثانوية لجبل قريون من الشرق إلى غاية حدود قبيلة الحراكتة في الجنوب، ويعد أولاد محبوب الفرقة الرئيسية في السقنية للدور الذي كانت تلعبه داخل القبيلة، وهم ينقسمون إلى أولاد احمد، أولاد علي، أولاد بو الطيور، الضوافرية.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:650– 678 تاريخ النشر: 30–05–2019

للعيش عبر السهول القريبة من قسنطينة والالتفاف حول هذه العناصر مشكلين قبيلة السقنية، نسبة لأولاد سقان حسب رواية الضابط شارل فيرو (Charles Féraud)[1].

لقد ورد اسم قبيلة السقنية والمجال الذي عاشوا عبره في رحلة بايصونال (Peyssonnel) سنة 1725 مشيرا إلى أن موطنهم يقع على بعد 06 فرسخ جنوب شرق مدينة قسنطينة، حيث تقع المدينة الأثرية سيقوس، وفي هذه السهول يقول بايصونال أنه التقى بباي قسنطينة حسن المدعو بوكمية (1713–1736)، الذين كان مخيا بها[2]، وهو ما يؤشر على أن السقنية عاشت عبر هذه السهول على الأقل منذ بداية القرن الثامن عشر ميلادي، حيث مكنت هذه الجماعات السلطة المركزية بقسنطينة من مد نفوذها على طول وادي بومرزوق، عبر سهول سيقوس، عين فكرون، عين كرشة، هذه الأخيرة التي تعد أهم وأغنى سهول السقنية بـــمساحة تجاوزت 30 ألف هكتار[3].

ويظهر أن صالح باي (1771–1792) هو من نظم سهول السقنية ومراعيها قصد خلق عصب اقتصادي للبايلك، فبعد أن ضبط مجالها الجغرافي، مع القبائل المجاورة لها على

– أولاد سيدي لونيس: هم أهل زاوية أصولهم، يقولون أنهم من مشاتل الشريفية بالمغرب الأقصى، حيث أسس سيدي لونيس زاوية لتحفيظ القرآن، واستقروا بين قبيلة بحيرة طويلة والحراكتة، يرجى الرجوع إلى : Origine et historique de la Tribu des Segnias,op.cit.

[1] –Laurent Charles Féraud, « Notes historiques sur les tribus de la province de Constantine », Recueil des notices et mémoire de la société archéologique de la province de Constantine , R.S.A.C, no 13, 1869, p,19.

[2]– Jean André Peyssonnel, Voyages dans la régence de Tunis et Alger ou relation d'un voyage sur les côtes de Barbarie fais par ordre du roi en 1724 et 172, publié par M.Dureau de la Malle, Paris.1838 , p.288, 289.

[3]– Origine et historique de la Tribu des Segnias,op.cit.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:650– 678 تاريخ النشر: 30–05–2019

غرار عامر الشراقة[1]، الواقعة على حدودها الشمالية، عمد إلى استغلال ثروتها المائية [2] ومراعيها الواسعة ليوكل لجماعاتها مهمة رعاية قطعان البايلك، أو ما يسمى بـــ "اقدل البايلك" عبر الفضاء الرعوي الواقع جنوبا في محيط البحيرات المالحة (السبخات)، على مساحة قدرت بـــ 11875هـــ، 25 آر، 60 سآ[3]، كما كانت تدفعها حياة الرعي لتنظيم رحلات موسمية تقودها إلى الصحراء في فصل الشتاء، لتعود بالقطعان إلى مضاربها مع بداية فصل الربيع[4]، هذا الترحال العمودي مكن من ارساء تقاليد رعوية بين سكان الصحراء وجماعات السقنية، كانت من محصلاتها وضع أولاد قاسم أحد عناصرها — عاشت قرب جبل قريون – تحت سلطة شيخ عرب التل (خليفة شيخ عرب الزيبان)،

[1]– Procès-verbal, Origine et historique de la Tribu des Ameurs Chegara, procès - verbaux du Sénatus Consulte, n°14: Ameurs Chegara. Direction Régional du Cadastre – Constantine (D.R.C.C).

[2]– توفرت فضاء السقنية على ثروة مائية نذكر منها وادي الكلاب، وادي بوسعدية، وادي كرشة، وادي فكرون، وادي ميسب، وادي قصر سفلان، بحيرة القراح، بحيرتين مالحتين هما عين الجمل، وعنق الجمل، ومن العيون، عين الحجر، عين بورصاص، عين الحنش، عين رأس كرشة، عين الجمعة، عين فكرون... ومن الآبار احصيت تسعة وعشرون بئر نذكر منها البئر المنتن، البئر الأبيض، بئر دار المسدور، بئر لحنش...الخ للمزيد من التفاصيل يرجى الرجوع إلى:

Procès-verbal, Cours d’eau, sources, fontaines au tribu des Segnias, procès-verbaux du Sénatus Consulte, n°259:Tribu des Segnias. D.R.C.C.

3333-Procès-verbal, Les terres Azels, Aguddel El Beylik au tribu des Segnias, Procès- verbaux du Sénatus Consulte, n°259:Tribu des Segnias.D.R.C.C.

[4]– Ernest Carette et Auguste Warnier, Description et division de l’Algérie, édition L.Hachette, Paris, 1847,p.25.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:650– 678 تاريخ النشر: 30–05–2019

وكانت من مهامه الاشراف على الترحال الموسمي للقبائل البدوية بين الصحراء والتل[1]. إن هذه الطبيعة الرعوية لجماعات السقنية كشفتها لنا احصائيات بداية المرحلة الاستعمارية، التي تحدثت عن امتلاكها لثروة حيوانية معتبرة قدرت بـــ 36793 خروف، 9672 ماعز، 1685 جمل، 1046 بين بقر وثيران[2].

3.الزمول: القوة العسكرية الضاربة:

كانت فرقة الزمول بمثابة القوة العسكرية الضاربة لبايات قسنطينة، بعدما أخذوا أشواطا في تكوينها، بدأت منذ القرن السابع عشر في عهد شعبان باي (1688–1692)، عندما استقرت فئات على مقربة من مدينة قسنطينة غربا، جمعت شتات جماعات مختلفة الأصول منهم من أولاد دراج وأولاد سلام بالحضنة، وآيت عزيز من جبال البابور، مشكلين نواة اجتماعية تم الحاقها بسلطة البايات، الذين عهدوا إليهم في البداية برعي قطعان البايلك عبر المجرى الأعلى لوادي الرمال بين قسنطينة وعين السمارة، ومع ازدياد رؤوس القطعان التي كانت تصلهم تباعا كضرائب كان يجنيها البايات من القبائل، تطلب الأمر تطعيم هذه النواة بعناصر متعددة المضارب، سرعان ما أخذت تندمج فيما بينها، خاصة بعد أن جعل البايات قسما منهم كفرقة عسكرية أو زمالة يجردونها في الحملات العسكرية ضد القبائل المتمردة أو لإخماد ثورات محلية، بعدما زودوها بالسلاح

[1] – جميلة معاشي، «مشيخة العرب والسياسة العثمانية ببايلك قسنطينة »، مجلة كلية الدراسات الإسلامية و العربية، العدد 35، 2008، ص، 424.

[2] –Procès-verbal, La fortune animale au Tribu des Segnias, Procès- verbaux du Sénatus Consulte, n°259:Tribu des Segnias.D.R.C.C.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:650– 678 تاريخ النشر: 30–05–2019

والخيل والمؤونة، وسرعان ما تحولوا إلى قوة عسكرية في يد بايات قسنطينة سميت بزمالة الباي التي لم تكتمل ملامحها إلا في عهد الباي قليان المدعو بوكمية (1717)[1].

كانت هذه الزمالة تخيم ببوعمرون بالقرب من الأقواس الرومانية على أبواب مدينة قسنطينة ملازمة لضفاف وادي الرمال، ونضرا لطابعهم الممزوج بالرعي والعسكرة، فقد نقلهم البايات إلى بعد حوالي 04 كلم في المكان المعروف بعين الباي كي يكونوا قريبين من الفضاءات الرعوية الواقعة جنوب شرق مدينة قسنطينة، منها "ولجة الخيل" التي انخرطوا في صراع من أجل الاستحواذ عليها ضد قبيلة السقنية، التي انتصروا عليها مع الوقت، مكنتهم من السيطرة على بعض فضاءاتها الرعوية المعروفة بـــ "تيكمرت" "عقبة الجمالة" "مدلسو" وصولا إلى "الفسقية" حيث تقع أجمل المنابع المائية على حافة جبل قريون، عندها نقل حسن باي بوحنك سنة 1736 الزمالة للعيش في عقبة الجمالة وتيكمرت[2]، وفي سنة 1755 قام الباي حسين زرق عيونو بحملة ضد تونس شاركته فيها الزمالة التي كان على رأسها كرميش بن سلامة، الذي أبدى بسالة في هذه الحملة دفعت الباي لتعيينه قائدا على الزمول والسقنية معا، بدلا من أبناء محمد بن عمار الذين كانوا يتوارثون هذا المنصب عن والدهم واضطروا عندها للتنقل والعيش بقسنطينة، تحت تسمية أولاد بن الأبيض، الذين اسندت لهم وظيفة قائد الدار[3].

وفي عهد الباي أحمد القلي (1756–1771) باشر في بناء برج بجوار جبل قريون (أكثر من 1700 متر) بسهول عين امليلة، وهو البرج الذي حمل تسمية "برج الفسقية " نسبة إلى عيون الفسقية التاريخية التي شيد أمامها، حيث أتم بناءه صالح باي (1771–

[1] – L.Ch. Féraud, op.cit, p,40-44.

[2]– E. Vayssettes, op.cit, p, 107

[3]– L.Ch.Féraud, op.cit, p,50.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:650– 678 تاريخ النشر: 30–05–2019

1792)، بعدما نقل الزمالة التي أصبحت تعرف بالزمول، من عقبة الجمالة وتيكمرت، ليخيموا ويستقروا نهائيا بـــ: عين امليلة، عين فرشي، جياد المال، كرشة، والفسقية، حيث جعل من الأراضي المحيطة بالبرج أراضي عزل عرفت بعزل الفسقية عهد إلى عناصر قبيلة السقنية بزراعته، ومعه عزل عين كرشة المجاور له، حيث كان منتوج الحبوب الذي يوفره العزلين يودع في مخازن برج الفسقية، فيستغل الشعير لتغذية خيول البايلك التي حولت إلى هذا البرج، أما القمح فيتم تقسيمه بين باي قسنطينة، وقائد قبيلة الزمول، إلى جانب حارس البرج الذي كان يسهر على عمليات جني المحصول، وهو الحارس الذي أصبح يحمل رتبة "قائد البرج"[1].

لقد تحول الزمول مع الوقت إلى مجتمع صغير يعيش في شكل قبيلة عسكرية متجانسة توفر 3000 فارس وتقيم على أراضي بايلكية، وهو ما جعلها في وضعية ضريبية مريحة، حيث لا تدفع سوى ضريبة العشور والتبن[2] إلى جانب تحكمها في طريق محوري هو طريق قسنطينة بسكرة عبر الفضاء الممتد من جبل قريون إلى جبل " نيف النسر"[3]، وأصبح قائدها من كبار الموظفين أو مخازنية البايلك، ولا يختلف في المكانة والنفوذ عن شيخ العرب بالزاب، وقائد العواسي (الحراكتة) وشيخ قبيلة الحنانشة التي عاشت على الأطراف الجزائرية التونسية، حيث وضع تحت سلطته أكثر من عشرة شواش، إلى جانب

[1]– Ibid, p.52.

[2]– Ministre de la Guerre, Tableau de la situation des Etablissement Français dans l'Algérie, imprimerie Royale, Paris, 1886, p.325.

[3]– أحمد سيساوي، البعد البايلكي في المشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسية، من فالي إلى نابليون الثالث (1838– 1871) دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، ص، 49.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:650– 678 تاريخ النشر: 30–05–2019

الكثير من القبائل التي عاشت في الفضاءات التاريخية لسيقوس، عين فكرون، تاملوكة، قصر الصبيحي، الأوراس، ومن هذه القبائل نذكر أولاد سي عفيف، أولاد سي موسى، أولاد سي خليفة، أولاد سي لونيس، أولاد سي عياد، النوادرية، الحرملية، أولاد عبيد، العنادلة، البشايغة، أولاد اسماعيل، أولاد سي زرارة، الحراكتة أهل المعذر، والسقنية التي كان يستقبل منها ضريبة الفرحة، وتوفر له 400 فارس والكثير من الفنطازية[1].

انخرطت الزمول في كل الحملات التي قادها بايات قسنطينة منذ عهد رجب باي (1667) ضد قبيلة أولاد بوعون إلى آخر بايات قسنطينة الحاج أحمد باي (1826–1837) الذي شاركت إلى جانبه في صد الحملة الفرنسية على مدينة الجزائر سنة 1830 كل هذه المراحل خاضت فيها الزمول الكثير من الحملات العسكرية داخل حدود بايلك الشرق ضد القبائل المستعصية على السلطة المركزية، مثل حملة حمودة باي على الأوراس (1707)، حملة حسين شاوش باي (1709) على سكان جبال ضواحي القالة، حملة قليان باي (1720) على الحنانشة وأولاد عبد النور، كما شاركت الزمول في الحملات التي قادها البايات خارج حدود البايلك على غرار الحملة العسكرية التي قادها الباي حسين زرق عيونو ضد تونس سنة 1754، ورافقت الباي صالح سنة 1775 لصد الحملة الاسبانية على مدينة الجزائر بقيادة أورلي (O'Reilly). كما أوكل للزمول تأمين البايات في طريقهم لدفع ضريبة الدنوش كل ثلاث سنوات لحكام الجزائر[2].

[1]– Cercle de Constantine, Constitution propre de la tribu Zemoul. FR. ANOM. 8H3/.

[2] – L.Ch.Féraud, op.cit, p.54-57.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:650– 678 تاريخ النشر: 30–05–2019

4.عامر الشراقة: مزارعين لدى سلطة البايلك[1]

يظهر أن تجربة بايات قسنطينة مع الحنانشة التي تقاسمت معهم النفوذ والثروة في السابق، جعلهم (البايات) منذ بداية القرن الثامن عشر لا يثقون بشكل كبير في الوعاء القبلي الذي كان يعيش شرق مدينة قسنطينة إلى الحدود التونسية، كونه كان حليفا قويا للحنانشة والشابية، على غرار الحراكتة، وقرفة اللذين وصل نفوذهما إلى أبواب مدينة قسنطينة، وهو ما جعل البايات أكثر حماسة للدفع بالقبائل التي عاشت غرب قسنطينة كي تعمر شرقها، حيث أمدتنا خريطة القبائل الجزائرية التي أعدها عضوي اللجنة العلمية ارنست كراط (Ernest Carette) وأوقست فارنيي (Auguste Warnier) في 1846 بمعلومات هامة عن التركيبة الاجتماعية للمجال الواقع شرق المدينة، مشيرة إلى تعميره من قبل قبيلة عامر الشراقة، عبر السهول التي يقطعها وادي مهيريس أحد روافد وادي بومرزوق[2]، في مجال خصب يقع في أراضي كانت تابعة للسلطة البايلكية، وهو ما دفعنا للتساؤل عن ظروف تعميره ؟ وعن طبيعة الجماعات التي دُفعت إليه ؟

للإجابة عن هذا التساؤل كنا قد جمعنا وثائق وتقارير عبر دور الأرشيف الوطنية والأجنبية، قدمت لنا معلومات عن أصول وظروف تعمير عامر الشراقة للمجال الواقع على أبواب مدينة قسنطينة شرقا، خلال المرحلة العثمانية، فإذا ما جمعنا هذه المعلومات،

[1]– كان موضوع أطروحتي في الدكتوراه حول مجال عامر الشراقة، للمزيد من التفاصيل يرجى الرجوع إلى :
توفيق بن زردة، التحولات الاقتصادية والاجتماعية للبلاد الخلفية لمدينة قسنطينة خلال القرن الـــ 19 – مجال عامر الشراقة انموذجا–، دكتوراه العلوم في التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة، السنة الجامعية 2017–2018.

[2]– E.Carette, A.Warnier, op.cit.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:650– 678 تاريخ النشر: 30–05–2019

نجد أن عامر الشارقة، هي في أصلها عائلات انفصلت عن القبيلة الأم عامر التي عاشت بسهول سطيف وبعد أن أصبح مجالها عاجزا عن تغطية احتياجاتهم الزراعية والرعوية، تقدمت بعض هذه العائلات إلى صالح باي (1771– 1792) يعرضون عليه خدماتهم المتمثلة في تأمين الهدوء، وإرساء الاستقرار في السهول التي يقطعها وادي مهيريس (شرق قسنطينة)، وكون الباي كان يسعى لتمين سيطرته على هذه الأراضي السهلية المجاورة لعاصمة البايلك، فقد وافق على إقرارهم في هذه السهول، ودعوة عائلاتهم للفلاحة فيها، حيث تنقلوا بالتدريج، مطلقين على الحيز الذي استقروا به تسمية " ذراع مهيريس"[1]. أما هذه العائلات التي شكلت لاحقا أعراش وفرق عامر الشراقة هم ثلاث:1 .عرش المراشدة: تشكل من فرقتين هما أولاد الواعر، وأولاد جدي.2 .عرش احساسنة: تشكل من فرقة أولاد عبد النبي، فرقة أولاد سلطان، وفرقة أولاد شرقي.3 .عرش بني مسلم: تشكل من فرقتي أولاد ناصر، وأولاد جليلة[2].

لقد استطاعت السلطة البايلكية بعد الدفع بجماعات عامر الشراقة، من تشكيل ممتلكات ترابية امتدت من المجرى الأعلى لوادي مهيريس شرقا إلى حدود وادي بومرزوق غربا، بنت فيها قاعدة زراعية– رعوية بمساحة تجاوزت 31890 هكتار، حيث عاشت ستة من الفرق السالفة كمزارعين، عند سلطة البايلك التي تقوم بانتدابهم لفلاحة أراضي العزل التي يتم اقتطاعها دوريا من أراضي عرش القبيلة، وصلت إلى ثمانية وعشرون عزلة بمساحة اجمالية قدرت بـــ 21123 هكتار، عاش عليها هؤلاء المزارعين

[1]–Procès-verbal, Origine et historique de la tribu des Ameurs Cheraga, 1864, procès - verbaux du Sénatus -Consulte, n°14:Tribu des Ameurs Cheraga. D.R.C.C.

[2]– Ministre de la Guerre, op.cit, p.327.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:650– 678 تاريخ النشر: 30–05–2019

كـــ "غرّامة" (يدفعون الغرامة أو الضريبة)، وهم أولاد عبد النبي، أولاد الواعر، أولاد جدي، أولاد سلطان، أولاد ناصر وأولاد جليلة، أما الفرقة السابعة، وهم أولاد شرقي فجلعت منهم السلطة البايلكية فرقة عسكرية، ومقرها بمهيريس، يجردها البايات في حملاتهم التي يقودونها ضد القبائل الواقعة شرق مدينة قسنطينة وصولا إلى التخوم التونسية[1].

هذا وحافظت هذه العائلات على تسمية قبيلتهم عامر، بعدما أضيف لهم اسم "الشراقة" لأن موطنهم الجديد يقع إلى الشرق بالنسبة لشروق الشمس، فيما أصبحت القبيلة الأم عامر التي عاشت بسهول سطيف تعرف بعامر الغرابة لأنها تتمركز في الغرب دائما بالنسبة لشروق الشمس، وطبعا تسميات الشراقة والغرابة، والظهرة، والقبلة، كانت آليات شائعة حينها للتمييز بين القبائل[2].

في الواقع ونحن نبحث في ظروف تعمير عامر الشراقة للسهول التي يقطعها وادي مهيريس، اكتشفنا أن الكثير من الجماعات عمد البايات على الدفع بها من الفضاءات الواقعة غرب قسنطينة قصد تعمير شرقها، فأسرة بو عكاز بن عاشور حكام فرجيوة[3]، الحلفاء التقليديين لبايات قسنطينة، خاصة منذ عهد صالح باي (1771– 1792)[4] أقدموا

[1]– Cercle de Constantine, Constitution propre de la tribu des Ameurs Cheraga, FR. ANOM, 8H3/.

[2]– فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة المدينة والمجتمع في المنتصف الأول من القرن 13هـــ أواخر القرن 18م إلى منتصف القرن 19م، رسالة دكتوراه في التاريخ، جامعة تونس الأولى، 1998، ص، 192.

[3] – حول هذه الأسرة يرجى الرجوع إلى

L. Ch. Féraud, « Ferdjioua et Zouara», *Revue Africaine*, n° 22, 1878.

[4]– جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري (من القرن 10هـــ/16م إلى 13هـــ/ 16م)، ديوان المطبوعات الجامعية، 2015، ص، 94.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:650– 678 تاريخ النشر: 30–05–2019

بدورهم على الدفع بعناصر منهم يعرفون بـــ "السكارنة" للاستقرار والعيش إلى جانب عامر الشراقة، في الجهة الشمالية على حدود جبل أم اسطاس، وهي الجهة التي أصبحت تعرف بـــ "السكرانية " نسبة إلى سكارنة أصيلي قبيلة فرجيوة[1].

أما أسرة آل المقراني الشريفية التي امتد مجالها من سطيف إلى جبال البيبان[2]، والتي شكلت بدورها حليفا تقليديا لبايات قسنطينة ولسلطة الأتراك بالجزائر، حيث استعان بهم الأخوين عروج وخير الدين في حروبهم ضد امارة "كوكو" الواقعة في منابع واد سباو بالسفوح الجبلية لجبال جرجرة، كما شاركوا بجيش قوامه أثني عشر ألف في عهد أحمد المقراني في الحملة العسكرية التي قادها حسن بن خير الدين في محاولة لتحرير وهران من التواجد الاسباني سنة 1563، حيث جلب آل المقراني عند عودتهم "الحشم" عناصر كانت تعيش بمعسكر، وجعلوهم حراسهم الشخصيين، وأقروهم بالقرب من جبل القلعة شمال مجانة[3] فيما بعضهم الآخر الذي كان يعرف باسم "أولاد قوام"[4] فتم الدفع بهم لاحقا للعيش إلى جانب عامر الشراقة حيث استقروا بدورهم في الجهة الشمالية المراسمة للجبال إلى جانب سكارنة فرجيوة، وعرف فضاؤهم باسم "القوامية "[5].

[1]– Origine et historique de la Tribu des Ameurs Chegara, op.cit.

[2]–L.Ch.Féraud, Histoire des villes de la province de Constantine, Setif, Bordj Bou Areridj, Mesila, Bousaada, éditeur Arnolet, Constantine, 1872,p.56.

[3]– Louis Rinn, Histoire de l'insurrection de 1871 en l'Algérie, Librairie Adolphe jourdan, Alger, 1891,p.10

[4]– Ministre de la Guerre ,op.cit,p.338

[5]– Historique des tribus du cercle de Constantine: Ameur Cheraga, FR. ANOM 10H11/.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:650– 678 تاريخ النشر: 30–05–2019

وفي نفس المنحى القائم على ترحيل بعض العناصر قصد دمجها مع جماعات عامر الشراقة، استقبلت هذه الأخيرة في مجالها جماعات البشابشة من سهول وادي الزناتي، وأولاد لشطر الذي لم تتبين أصولهم سوى أنهم شكلوا قوات عسكرية كان يقودها البايات في حملاتهم ضد القبائل، وهو ما ينسحب أيضا على أولاد جبنون الذين عاشوا إلى جانب عامر الشراقة، حيث يذكر آشيل روبار (Robert Achille) أن أصولهم تعود إلى بني أحمد بمنطقة جيجل[1].

لقد تسنى للسلطة البايلكية عبر السهول التي يقطعها وادي مهيريس، من بناء كيان اجتماعي– زراعي على أبواب مدينة قسنطينة شرقا تجاوز مفهوم الروابط الدموية، إلى بناء علاقات نفعية تشاركية تحولت إلى وازع لديها للتأقلم مع الواقع المادي، الذي استمر إلى عشية سقوط هذه الفضاءات في يد الجنرال نيكولا غالبوا (Nicolas Galbois) بتاريخ 20 سبتمبر 1838[2].

5.بحيرة طويلة: قاعدة رعوية تحت سلطة البايات:

بحيرة الطويلة هو في أصله طوبونيمي جغرافي يعود لسهول تتميز بالامتداد والانبساط، تقع على حدود عامر الشراقة الجنوبية[3]، حيث شجع بايات قسنطينة على تعميرها، من خلال حماية من يستقر عليها وجعله تحت وصايتهم، وهو ما شجع في نهاية القرن السابع عشر كل من الأخوين عزيز ومحاوش، بالتنقل رفقة عائلاتهم من قرية منعة

[1]– Robert Achille «Etude ethnographique sur la population indigène de la commune mixte d'Ain M'lila», R.S.A.C, no 43, 1909, p.170.

[2] – Pellissier de Reynaud Edmond , Annales Algériennes, libraire-éditeur de l'Empereur, J. Daumaine, Alger, T1, 1854,p.299.

[3]– Procès-verbal, Situation Topographique des Behira Thouila , Procès - verbaux du Sénatus Consulte, n°23 :Tribu des Behira Thouila. D.R.C.C.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:650– 678 تاريخ النشر: 30–05–2019

بالأوراس، بعد صراع سكانها مع من يجاورهم من أولاد زيان، ليستوطنوا بحيرة طويلة تحت حماية البايات، وسلطة آغا الدائرة[1] حيث دفع معهم صالح باي لاحقا جماعات أولاد دريد، من الأثبج الهلالية، التي اختلفت الروايات حول ظروف تعميرهم للبحيرة الطويلة فالرواية الأولى جاءت على لسان ابن أبي ضياف (ت. 1874) صاحب كتاب "اتحاف أهل الزمان" مفادها أن باي تونس حمودة باشا في حملته على قسنطينة، كانت دريد واحدة من قواته العسكرية التي رابطت في حصارها للمدينة، في الوقت الذي أصابها الملل من طول الحصار، " وقد مل القوم من طول أمد الحصار في محل واحد وأشدهم مللا دريد فانهم يختارون الأخذ الوبيل على المقام الطويل " وبعد أن تمكنت المحلة العسكرية للجزائر فك هذا الحصار، بقيت فئة من دريد بنسائهم وأطفالهم حيث أنزلهم باي قسنطينة حسب ابن أبي ضياف أرضا تسمى "بحيرة دريد" تملكوا بها [2].

أما الرواية الثانية فوردت في محاضر قانون السيناتيس كونسلت (1863)، وأعاد نشرها الضابط والمترجم فيرو (Féraud) في مجلة الجمعية الأثرية بقسنطينة عام 1869، وتذكر أن أصولهم تعود إلى قبيلة دريد التي عاشت بتونس، حيث في عام 1763 وقع خلاف بين الفرعيين "دريد جوين" و"دريد البادية" حول تعيين شيخ للقبيلة، وبسبب تأجج الوضع بين الطرفيين أقدمت دريد البادية على الانفصال على دريد جوين والانتقال غربا نحو الأراضي الجزائرية، لينقسموا بعدها إلى ثلاث مجموعات، المجموعة الأولى استقرت ضواحي عنابة، والثانية أخذت وجهتها نحو الصحراء، أما الثالثة فمنحها

[1] – Ministre de la Guerre ,op.cit,p.310.

[2] – ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس1963. ج. 01–03، ص، 42

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:650– 678 تاريخ النشر: 30–05–2019

صالح باي (1771–1792) مكان لتخيم به بـــ "عين الخيوطي" بالقرب من جبل الوحش ضواحي مدينة قسنطينة، وذلك لمدة تراوحت بين ثلاث إلى أربع سنوات، كانت خلالها دريد ضحية لعدة سرقات، مما اضطر عناصرها بالتقدم إلى الآغا الحاج مسعود بن زكري على عهد صالح باي يطلبون منه الإذن للاستقرار بالبحيرة الطويلة بالقرب من "فم العلايق"[1].

بعد تنقل مجموعات دريد البدوية إلى هذه السهول، شكل منهم صالح باي نواة بشرية دورها ينحصر في رعاية قطعان البايلك، بعدما قسمهم إلى ثلاث مجموعات، المجموعة الأولى عرفت بـــ عزيب البل" تسهر على رعاية الجمال، المجموعة الثانية عرفت بـــ "عزل البقر" مهمتها انحصرت في صون ثروة الأبقار، أما الأخيرة فعرفت بـــ "الجلابة" مهمتها تمثلت في تربية مواشي البايلك[2].

ونضرا لاحتياجات السلطة المركزية مع الوقت للمزيد من الفلاحين في سهول البحيرة الطويلة، فقد عمد صالح باي إلى الحاق مجموعات من قبيلة العلمة بازر التي عاشت بسهول سطيف، حيث دفع الصراع الذي وقع داخل القبيلة بانفصال خمسة وعشرون خيمة بقيادة المدعو الحاج سليمان بن عاشور، ليستقروا في البداية ولمدة خمسة سنوات بالقرب من جبل سيدي ارغيس بقاعدة الحراكتة، لينقلهم صالح باي لاحقا إلى البحيرة الطويلة، ووضعهم تحت سلطة باش كاتب باي قسنطينة الذي كانوا يدفعون له ضريبة الزكاة[3].

[1]–Procès-verbal, Historique de la tribu des Behira Thouila, Procès - verbaux du Sénatus Consulte, n°23 :Tribu des Behira Thouila. D.R.C.C.

[2]–Ibid.

[3]–Ibid.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:650– 678 تاريخ النشر: 30–05–2019

ونتيجة لعملية الدمج والالحاق التي انتهجتها السلطة البايلكية مع المجموعات الأربع (أولاد محاوش، أولاد عزيز، أولاد دريد، العلمة بازر) أخذوا مجتمعين تسمية السهول الواسعة والمنبسطة التي عمروها، وعرفوا تاريخيا بقبيلة "بحيرة طويلة"[1] تربعت على مساحة قدرت بـــ 17292هـــ 79 آ، 74 سآ، قامت على نظام اقدل البايلك، الذي يتولى رعاية قطعان السلطة من جمال، أبقار، وأغنام، حيث يضطرون للقيام برحلات موسمية تقودهم جنوبا إلى الصحراء[2]. وقد أكدت إحصائيات الإدارة الفرنسية في السنوات الأولى للاحتلال امتلاك القبيلة لـــ 1056 بين كوخ وخيمة، 13041 رأس غنم، 1287 حصان، 945 بين رأس بقر وثيران[3].

هذا ورغم وقوع قبيلة البحيرة الطويلة تحت حماية البايات، وتعيين عليهم قيادة من دريد كان أولهم المدعو علي بن كعيل تساعدة زمالة تتشكل من 25 فارسا، إلا أن وازع السيطرة على الأرض والمراعي، كان في الكثير من الأحيان يؤجج من الصراعات في هذه المجالات الغنية بالفلاحة، حيث تعرضت البحيرة الطويلة في النقاط التي يتركز فيها كل من أولاد محاوش وأولاد عزيز إلى تعدي من قبل الحراكتة ووادي الزناتي سنة 1808، وأيضا في عهد قائدها سي عبد الله ولد مامن، دار صراع بين دريد ومجموعات السقنية، لكن قبيلة البحيرة الطويلة كانت في كل مرة تحافظ على أراضيها الزراعية

[1]– Abeldjelil Temimi, Le beylik de Constantine et Hadj Ahmed bey (1830-1837),Publications de la Revue d'Histoire Maghrébine, Tunis, 1978. vol.1.p.139.

[2] –Ministre de la Guerre op.cit, p.327,338.

[3] –Procès-verbal, Fortune animal, Tribu des Behira Thouila, Procès - verbaux du Sénatus Consulte, n°23 ,Tribu des Behira Thouila. D.R.C.C.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:650– 678 تاريخ النشر: 30–05–2019

والرعوية، بل واستطاعت في بعض المراحل أن توسع من مجالها ليصل إلى مشارف الخروب على عهد قائدها علي با احمد[1]

6.سلاوة الخرارب: قاعدة لأراضي العزل

عاشت قبيلة سلاوة الخرارب شرق عامر الشراقة، عبر المجال الذي يقعطه وادي الشارف وراوافدة جنوب شرق قالمة، في سهول غنية بنشاطها الفلاحي، على غرار سهول تاملوكة، وادي آركو، وسدراتة، وهي السهول التي اختلفت الروايات حول ظروف تعميرها خاصة من قبل سكان الأوراس، حيث يذكر العدواني (ت في النصف الثاني من القرن الـــ 17) أنه بسبب الجفاف الذي حل بالأوراس منذ الربع الثاني من القرن الـــ 16، اضطرت أولى الجماعات التي تعرف بسلاوة (عاشت بالقرب من جبل سلاوة) للهجرة شمالا والاستقرار بهذه السهول[2]، فيما دراسات أخرى كشفت أن دوافع الهجرة نتجت عن الضغوط التي مارستها قبيلة أولاد صوله العربية على بعض سكان الأوراس، الذين وجدوا في السهول التي يقطعها وادي الشارف فضاء شاغرا يمكن العيش فيه، بينما البعض الآخر ذهب إلى أن قلة الأراضي الزراعية بالأوراس في ظل ازدياد عدد السكان، هو من عجل بالهجرة شمالا نحو هذه السهول[3].

بعد سلاوة توافد أولاد بوعافية من ضواحي خنشلة، وأولاد داود من الوادي الأبيض، لتتوالى الهجرات بعدها إلى هذه السهول، من قبل جماعات مختلفة من الأوراس

[1] – Historique de la tribu des Behira Thouila, op.cit.

[2] – العدواني، تاريخ العدواني، تحقيق أبو القاسم سعد الله، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2005، ص، 335.

[3] – Jean Maguelonne, « Monographie géographique et historique de la Tribu des Sellaoua Kherareb » .R.S.A.C, no 3 ,1869, p.125,126.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:650– 678 تاريخ النشر: 30–05–2019

هم: أولاد قاسم، بني وجانة، أولاد زرهوم، أولاد سي عمور، بني ملكم، أولاد سي خليفة الشارف، إضافة إلى أولاد القرفي الذين قدموا من مجانة (برج بوعريريج)، حيث شكلت هذه الجماعات تجمعا قبليا[1] من عشرة فرق عرفت باسم "سلاوة الخرارب" نسبة إلى أول مجموعة استوطنت هذه السهول (سلاوة) والخرارب من الخروبة وهي الفرقة[2] .

عمدت بعدها السلطة البايلكية بقسنطينة على إعادة ترتيب الأراضي التي يقطعها وادي الشارف التي تجاوزت مساحة الـــ 89968 بعدما جعلت من أغلبها أراضي عزل وصلت إلى سبعة وأربعون عزل وضع أغلبها تحت وصاية أسرة بني مراد شيوخ قرفة (عين مخلوف)، التي كان قسم من سلاوة الخرارب تحت سلطتها، فيما أربعة عشر عزل وضع تحت سلطة قياد أولاد دواود الذين كانوا يخضعون تارة إلى سلطة قايد الدار وتارة إلى باش سراج، وأخرى إلى الباش مكاحلي، بينما الثمانية أعزال المتبقية وضعت تحت سلطة قايد العواسي (الحراكتة) الذي كان يقيم بقسنطينة[3].

في نفس الوقت أقدمت السلطة بقسنطينة على إعادة توزيع جماعات سلاوة الخرارب على هذه المساحة الواسعة، فوضعت أولاد بوعافية، أولاد زرهوم، وأولاد عمور جنوب وادي حميميم أحد روافد وادي الشارف، لتسند الجماعات الأولى والثانية تحت سلطة آغا الدايرة الذي يدفعون له الضرائب، أما أولاد عمور فوضعوا تحت سلطة

[1] –Procès-verbal, Historique de la Tribu des Kherareb Sellaoua, Procès - verbaux du Sénatus Consulte, n°260:Tribu des Kherareb Sellaoua.D.R.C.C.

[2] –J.Maguelonne, op.cit,p.124.

[3] –Procès-verbal, Historique et utilisation des Azels dans la tribu des Sellaouas Kherareb, Procès - verbaux du Sénatus Consulte, n°260:Tribu des Kherareb Sellaoua.D.R.C.C.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:650– 678 تاريخ النشر: 30–05–2019

قائد الزمول[1].في المقابل تم توطين أولاد داود على الضفة اليسرى لوادي حميميم، و في أراضي العزل الواقعة على الضفة اليمنى لوادي الشارف، كما دخلوا في منافسة مع الحراكتة للسيطرة على الأراضي الواقعة جنوبا، وهي الأراضي التي أقرها في النهاية أحمد باي آخر بايات قسنطينة (1826–1837) لما كان قائدا على العواسي لصالح الحراكتة. وفي إطار التنظيم الإداري الفلاحي أُلحق أولاد داود بالسلطة المباشرة للبايلك، إلى جانب أولاد القرفي وبني ملكم، الذين عاشوا بين سلسلة جبل الحالية والمايدة[2]. أما سلاوة التي كانت أول الوافدين من جبال الأوراس فعمرت غرب وادي الشارف عبر سهول تاملوكة، آركو، الشبكة، بلاد القرفي، ووادي دحمان، حيث وضعت تحت سلطة قائد العواسي[3]. في المقابل استوطنت جماعات أولاد سي خليفة الشارف الضفة الشرقية للوادي، تحت سلطة قائد الزمول، الذي يدفعون له الضرائب، أما أولاد قاسم الذي الحقوا بسلطة باش سراج، فعمروا أراضي وادي بوكردو وأسفل وادي الكرب أحد روافد وادي الشارف[4].أما آخر الوافدين إلى هذه السهول خلال القرن الـــ 18، فهم بني وجانة من الأوراس، الذين استقروا على حدود وادي العرعار (ضواحي عين مخلوف)، كما توسعوا أيضا في الأراضي الواقعة على حدود وادي النيل ووادي قنسوف حيث يعيش أولاد قاسم وأولاد داود، الذين وضعت بني وجانة تحت سلطتهم[5].

[1]–Ibid.

[2]–J.Maguelonne, op.cit, p.127, 128.

[3]– Historique et utilisation des Azels de la tribu des Sellaoua Kherareb, op.cit.

[4]– J. Maguelonne , op.cit.,p.129.

[5]– Ibid, p.130,131.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:650– 678 تاريخ النشر: 30–05–2019

7.قرفـــة :قاعدة عزل بنظام الدوابر:

قرفة هي قبيلة من الأثبج الهلالية[1]، استوطنت بعد الهجرات العربية جبال الأوراس الشرقي، حيث عاشت على الترحال الموسمي بين التل والزاب الشرقي منضوية خلال القرنيين الـــ 16 و 17[2]، تحت نفوذ الشابية وكنفدرالية الحنانشة القبيلة[3] لكن الظروف اضطرتها بعد تفكك حلف الشابية سنة 1680، للهجرة والعيش ضواحي قالمة، حيث كتب عنهم الرحالة طوماس شو (Thomas Shaw) (1732) يقول "تمتد قرفة من حدود وادي سيبوس وسبع عيون إلى غاية سرف العليقة التي هي عبارة عن آثار تقع شمال غرب عنونة...ويمتد مجالها جنوبا إلى سنيور ...وهو ليس ببعيد عن وادي الشارف"[4].

توارثت أسرة بني مراد مشيخة قرفة، كما امتدت سلطتهم على أغلب أعزال قبيلة سلاوة الخرارب، إلى جانب قبائل الأعشاش، بني وجانة، العوالم، أولاد ساسي، أولاد احمد، مهونة (ماونة)، بلاد قرفة، بلاد وادي الزناتي[5]، كما وضع البايات تحت سلطتهم

[1]– عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر والمبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار جمال للطباعة والنشر، بيروت، 1979، ص، 23.

[2] – العدواني، المصدر السابق، ص، 175.

[3] – المصدر نفسه، ص ص، 175–177.

[4]–Thomas Shaw, Voyage dans la Régence d'Alger au 18e siècle, traduit de l'anglais par E .Mac Carthy, 1830, grand Alger livre, Alger, p.201, 202.

[5]–Procès-verbal, Historique de la tribu des Bled Guerfa, Procès - verbaux du Sénatus Consulte, n°94 :Tribu des Bled Guerfa. D.R.C.C.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:650– 678 تاريخ النشر: 30–05–2019

زمالة عسكرية عرفت بزمالة بني مراد (عين مخلوف) تتشكل من 200 فارس[1]، كقوة عسكرية تنسب لتنظيم الدوابر، من مهامها حراسة الطريق الرابط بين قسنطينة ومدينة الكاف التونسية[2].

كانت الأراضي التي تقع تحت نفوذ قرفة تعد أراضي عرش، ونضرا لارتفاع قيمة الضرائب عليها، التي تدفع على ثلاث مراحل، في الشتاء وتسمى الشتوية تقدر بـــ 25000 فرنك، في الربيع وتسمى الربيعية تقدر بـــ 12500 فرنك، وفي الصيف وتسمى الصيفية حيث تصل إلى 27500 فرنك، وتجنبا للحملات التي كان يقوم بها البايات لتحصيل الضرائب، أقدمت قرفة على تحويل الكثير من أراضي العرش إلى أرضي عزل، والدفع إلى استغلالها إلى كل من يستطيع دفع الضرائب[3].

حيث وعلى مراحل اشترت عناصر وادي الزناتي (الزناتية) من قرفة الحقوق على الأعزال، وهي العملية التي بدأت منذ عهد صالح باي[4]، واستمرت حوالي أربعين سنة، مكنت عناصر الزناتية من شراء حقوق الكثير من الأعزال مثل عزل بلاد جليلي بمساحة 1723هكتار[5]، حيث وصل مجموع أراضي العزل التي تتربع عليها وادي الزناتي ويقطعها

[1]– أحمد سيساوي، النظام الإداري بايلك الشرق 1771– 1830م، ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة، 1988، ص، 44.

[2]–E.Carette et A.Warnier, op.cit, p.34.

[3]– J.Maguelonne,op.cit,p.156.

[4]– André Nouschi, Enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises de la conquête jusqu'en1919,Essai d'histoire économique et social ,PUF/C.N.R.S ,Paris,1961.p.82.

[5]– Procès-verbal,Historique de la Tribu des Zenatia, Procès-verbaux du Sénatus Consulte,n°176:Tribu des Zenatias, D.R.D.C.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:650– 678 تاريخ النشر: 30–05–2019

وادي بنفس التسمية (وادي الزناتي) إلى اثنان وستون عزل بمساحة اجمالية قدرت بـــ 43188 هكتار، على غرار عزل عين برناز عزل تويفزة السفلية، عزل عين الكحلة، عزل شعبة القنادسة، عزل قنافد مناماني، عزل قنافد المسعي، عزل قنافد بوعون، عزل بلاد زهانة، عزل عيون طرون، عزل شعبة الحنانشة، عزل بلاد جليلي، عزل بن مزورة[1].

ورغم أن الزناتية اشتروا حقوق الأعزال على قرفة، إلا أن شيخهم وما تحته من أعزال بقي تحت سلطة أسرة بني مراد[2] بخلاف عزل واحد وضع تحت سلطة باش علام كامتياز له[3]، إلى جانب ذلك استغل بايات قسنطينة، رغبة عناصر الزناتية في تقديم خدمات عسكرية للبايلك، وموقعهم الجيد ليشكلوا منهم قوة عسكرية ضمن تنظيم الدوايرا اسندت لهم حماية فضاء عامر الشراقة الزراعي من الشرق وحراسة طريق قسنطينة عنابة عند نقطة رأس العقبة، حيث كانوا يستطيعون تقديم 1000 فارس إلى جانب دايرة الواد (فج مزالة) ودايرة الصراوية (عين التين)[4].

الخاتمـــة:

في خضم بعض الأطروحات التي اعتبرت المجالات التقليدية القبلية هي فضاءات جغرافية فوضوية تجمع شتات جماعات مترحلة، يكون ارتباطها موسميا بنقاط اعتادت ارتيادها، ومنه يغيب الاطار المادي الذي نحتكم إليه، وتسقط الجغرافيا الساكنة لكن هذه

[1]– Procès-verbal, Exposé préliminaire sur les Azels, Tribu Zenatia, Procès-verbaux du Sénatus Consulte,n°176:Tribu des Zenatias, D.R.D.C.

[2]–Ministre de la Guerre ,op.cit,p.325.

[3]–Ibid,p. 312.

[4]–Louis Rinn, Le Royaume d'Alger sous le dernier Dey, Edition Typographie Adolphe Jordan, Alger,1900,p.131.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:650– 678 تاريخ النشر: 30–05–2019

الورقة البحثية كشفت لنا عن وجود نظام متكامل وحسابات مجالية دقيقة في توزيع القبائل في الريف الشرقي القسنطيني، حيث قسمت السلطة البايلكية الفضاء الممتد من مدينة قسنطينة إلى حدود كنفدرالية الحنانشة القبلية بسوق اهراس، إلى ثلاث مجالات ترابية، امتد فيها المجال الأول من المدينة العاصمة الجهوية وصولا إلى وادي بومرزوق على مسافة حوالي 15 كلم شكل منه البايات قاعدة للأراضي البايلكية، والمجال الثاني امتد من وادي بومرزوق وصولا إلى سهول تاملوكة ووادي الزناتي، على مسافة حوالي 40 كلم، شكل منه البايات وعاء لأراضي العزل التي دفعوا إليها قبائل تمتهن الزراعية والرعي تحت وصاية السلطة المركزية على غرار عامر الشراقة، السقنية، بحيرة الطويلة، سلاوة الخرارب، يأتي بعدها المجال الثالث وهو حزام أمني حرصت فيه سلطة البايلك أن يكون على تقاليد عسكرية كي يكون طوقا أمنيا يحمي مدينة قسنطينة عاصمة السلطة الجهوية، ويحمي المجالات الزراعية المحيطة بها، لذلك وزعت عليه قبائل الدوابر، تمثلت في دايرة الزناتية، ودايرة زمالة بن مراد (عين مخلوف)، وعبر نفس الحزام الأمني في الجهة الجنوبية الشرقية لمدينة قسنطينة كانت الزمول القوة العسكرية المحلية الضاربة، ومن خلالها امتداد نفوذ البايلك في الفضاءات الريفية المستعصية.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:650– 678 تاريخ النشر: 30–05–2019

الملاحـــق:

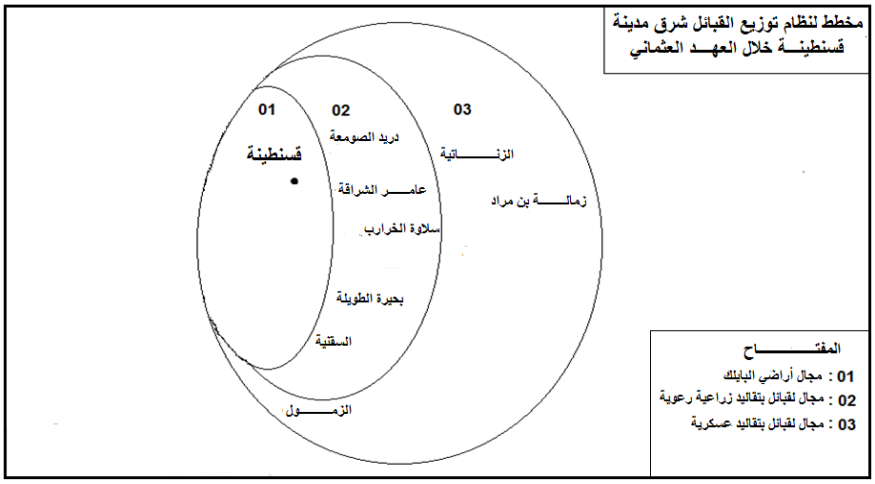

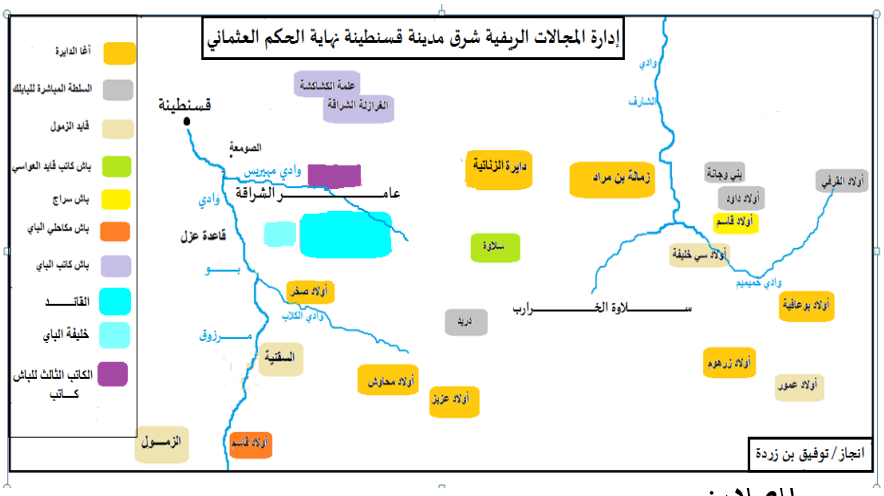

المصادر:

1/ الوثائق الغير منشورة:

أ. المديرية الجهوية لمسح الأراضي–قسنطينة –:

Direction régionale du Cadastre- Constantine

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:650– 678 تاريخ النشر: 30–05–2019

Procès-verbaux du Sénatus-Consulte:

Tribu des Ameurs Cheraga, n° 14
Tribu des Behira Thouila, n° 23
Tribu des Geuerfas, n° 94
Tribu des Hannenchas, n° 138
Tribu des Haractas, n° 139
Tribu des Zenatias, n° 176

ب. الأرشيف الوطني الفرنسي لما وراء البحار أكس أون بروفانس :

Archives nationales d'Outre mer- Aix-en-Province (ANOM), France.

Gouvernement général de l'Algérie (GGA)

8H:3/ Cercle de Constantine: Rapports, décrets ,historique des tribu (Ameu Cheraga) (1854).

8H8/-9: Cercle de Constantine: rapports, Etat des tribus.

10H:11/ Historique des tribus du cercle de Constantine.

2/ المصادر المطبوعة:

1- Ministre de la Guerre, Tableau de la situation des établissements française dans l'Algérie, imprimerie Royale, Paris, vol,1, 1838.
2- Ministre de la Guerre, Tableau de la situation des établissements française dans l'Algérie, imprimerie Royale, Paris, vol,3 , 1840.
3- Peyssonnel Jean André, Voyages dans les régences de Tunis et Alger ou relation d'un voyage sur les côtes de Barbarie fais par ordre du roi en 1724 et 1725, publié par M. Dureau de la Malle, Paris,1838.
4- Shaw Thomas, Voyage dans la Régence d'Alger au 18e siècle .Traduit de l'anglais par E.Mac Carthy.1830. grand Alger livres. Alger.2006.

المراجـــع:

1- Babés Leila, Mythes d'origine et structures tribales dans le Constantinois sous la domination Turque, Essai sur le fondement du

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:650– 678 تاريخ النشر: 30–05–2019

pouvoir politique, Thèse pour le doctorat troisième cycle, université Aix Marseille,1984.

2- Boukhobza Mohamed, Monde rural. Contraintes et mutations, Office des Publications Universitaire, Alger.p.1974.

3- Bordieu Pierre, Sociologie de l'Algérie, collection , que sais-je, presse Universitaire de France, 1958.

4- Boyer Pierre «Histotique des Beni Amer d'Oranie, des origines au sénatus consulte» R.O.M.M, n° 24, 1977, p.39-85.

5- Carette Ernest et Warnier Auguste, Description et division de l'Algérie, de .L.Hachette, Paris,1847.

6- Féraud Laurent Charles, «Notes historique sur les tribus de la province de Constantine» R.S.A.C, n° 13,1869 ,p.20- 45.

7- Féraud Charles Laurent «Les Harar seigneurs des Hanencha» R.A, n°18,1874, p.22-32 ,119-123,127-149,196-236,281-294.

8- Féraud Laurent Charles, Histoire des villes de la province de Constantine, Setif,Bordj Bou Areridj-Mesila- Bousaada, Editeur Arnolet, Constantine,1872.

9- Gaid Mouloud, Chronique des beys de Constantine, Office des Publications Universitaire, Alger,1975.

10- Maguelonne Jean «Monographie géographique et historique de la tribu des Sellaoua Kherareb» R.S.A.C, n°13,1869, p.113-172.

11- Rinn Louis, Le Royaume d'Alger sous le dernier dey, grand Alger livres,Alger,2005.

12- Saidouni Nacereddine, L'Algérois rural a la fin de l'époque ottomane (1791-1830) ,Dar Al –Gharb Al-islami, Berouth,2001.

13- Temimi Abeldjelil, Le beylik de Constantine et Hadj Ahmbey (1830-1837), vol.1Publications de la Revue d'Histoire Maghrébine, Tunis, 1978.

14- Vayssettes Eugène, Histoire de Constantine sous la domination turque de 1517à1837, Bouchene, Paris, 2006.